المولود بن الموهوب (1866 م -1939م) وجهوده التربوية
Al-Mawlid Ibn Al-Mawhoub (1866-1939 AD) and his
educational efforts.

مريم جلاط¹

¹جامعة الجزائر 2 (الجزائر) meridjella2015@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/11/30 تاريخ النشر: 2022/12/07

ملخص:

يتناول هذا المقال واحدا من رجال الفكر التربوي الإصلاحى في الجزائر وهو "المولود بن الموهوب"، الذي جعل من فكره التربوي وسيلة لإصلاح مجتمعه، فدعا لليقظة والتعلم والوحدة والعودة إلى الدين، وتجسد ذلك في: خطب ومحاضرات ورسائل وقصائد شعرية، فحارب الخرافات والتقاليد البالية التي ألصقها الجاهلون بالدين الإسلامي، واستمرت أفكاره في الانتشار في المجتمع الجزائري، وفي النمو مع الوقت، حتى تخرج على يديه مجموعة من طلاب العلم ورجال الصحافة والأدباء والمصلحين، الذين قادوا الجزائر إلى التحرر، لذلك أردنا الوقوف عند شخصية ابن الموهوب؟ والكشف عن فكره وجهوده التربوية والإصلاحية.

كلمات مفتاحية: ابن الموهوب، الجهود التربوية، الإصلاح، الفكر، المنهج.

Abstract:

This article deals with one of the reformist educational thinkers in Algeria, "Al-Mawloud Ibn Al-Mawhoub", Who made his educational thought a means to reform his society, so he called for vigilance, learning, unity and a return to religion, This was embodied in: sermons, lectures, letters and poems, so he fought against the myths and outdated traditions that the ignorant had attached to the Islamic religion, His ideas continued to spread in

Algerian society, and to grow with time, until a group of science students, journalists, writers and reformers graduated from his hands, who led Algeria to liberation, So we wanted to stand at the personality of the talented son? And the disclosure of his thought and educational and reform efforts.

Keywords: Al-Mawhoub, educational efforts, reform, thought, method.

*المؤلف المرسل: مريم جلاط

1. مقدمة:

عملت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر على تدميرها بكل ما أوتيت من قوة، فأنت على الأخضر واليابس، وكان هدفها الأول هو تدمير العقول، وصرفها عن الوعي والتعليم، فأدخلت المجتمع في دوامة الجهل، والبدع والخرافات؛ بغية طمس الهوية وتشويه الدين، وتعد سنوات نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م من أصعب السنوات التي شهدتها الجزائر، وهي السنوات التي أعقبت الثورات الشعبية، وفي هذه الفترة عرفت الجزائر النخبة المثقفة باللغة الفرنسية، وانتعاش الثقافة الوطنية بفضل جهود العلماء، وميلاد الصحافة الوطنية، وتكوين التجمعات السياسية، ومقاومة عنيفة لفكرة التجنيس، والخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي، وفي خضم هذه الأجواء ظهرت البوادر الأولى للحركة الفكرية الإصلاحية بفضل رجال يصطلح عليهم برجال الفكر والإصلاح أو النخبة، وكان من أعلامها البارزين: عبد القادر المجاوي (ت: 1914هـ)، وعبد الحليم بن سماية (ت: 1931هـ)، والمولود بن الموهوب (ت: 1939هـ) وغيرهم، الذين لهم فضل سبق في انتشار الوعي، ومحاربة البدع والخرافات والدعوة إلى منابع الإسلام الصافية، وكان من بين هؤلاء المصلحين البارزين شيخ الجماعة "المولود بن الموهوب"، الذي اتخذ من الفكر والتربية وسيلة للإصلاح؛ إذ كانت له رؤية خاصة للوضع الذي كانت تمر به الجزائر، فوظف فكره وجهده وذكاءه في مواجهة الاستعمار دون عنف، والاستفادة من المستعمر لإصلاح الجزائر في كل المستويات؛ لأنها وصلت إلى أدنى نقطة

ابن الموهوب (1866م -1939م) وجهوده التربوية

من التدهور متمثلا لمقولة شكسبير: (إنك قد تحصل بابتسامة على ما كنت تنوي الحصول عليه بالقوة)، فبذلك يكون ابن الموهوب واحدا من أبناء هذا الوطن، الذين جعلوا من فكرهم التربوي وسيلة لإصلاح مجتمعهم، فأتى هذا الفكر بثماره في الجيل الذي بعده، فابن الموهوب بحق واحد ممن دفعوا عجلة التحرر لهذا الوطن الغالي، فمن هو ابن الموهوب؟ وما هي جهوده التربوية التي نادى بها من أجل انتشار الجزائر من دوامة الجهل الذي كانت تعيشه تحت ظل المستعمر؟

2ترجمة المولود بن الموهوب:

هو محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود، ابن الموهوب(عادل نوميض: 1980م.ص: 324)، ولد حوالي سنة1866م، كان وحيد أبويه، ولم تطل حياة والده بعد ميلاده، فكان محل عناية أمه، وحرصت على تعليم وحيدها(محمد الهادي الحسني، مقال: الشروق أونلاين، العدد 2016/07/28)، وتذكر العديد من المصادر المترجمة له على أنه ولد في مدينة قسنطينة(الزركلي، 2002 م. (7/333))، و(عادل نوميض، 1980م. ص: 324)، لكن أبا القاسم سعد الله قال: إنه تخرج من زاوية أجداده، وهي زاوية شريف إيمولا؛ الواقعة بقرية إيمولا ببلدية صدوق، وهي زاوية تعليمية، فقد كان المولود من الفرع الذي سكن جبال البابور، ثم انتقل إلى قسنطينة(أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1998م. (3/190))، وقال في مؤلف آخر كان من أعيان مدينة قسنطينة، عاش فيها مدرسا وفقها ومفتيا وخطيبا وشاعرا ونائرا. إذ ولي بها إفتاء المالكية، والتدريس في الجامع الكبير (أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، 2007م.(2/192)).

أما عن نشأته التعليمية فبعدهما حفظ القرآن الكريم أقبل على التطلع من مختلف العلوم(الهادي الحسني، المقال، 2016)، فقد تعلم بالطريقة التقليدية(أبو القاسم سعد الله، 2007م.(2/192))، وكان محمد الشاذلي القسنطيني من شيوخه بالمدرسة الكتانية الرسمية (فرنسية - إسلامية)، ثم أصبح هو من شيوخ هذه المدرسة، وكان من شيوخه وزملائه فيها أيضا: عبد القادر المجاوي، الذي كان قد تأثر به كثيرا، وقد لازمه اثنتي عشرة سنة، وقد ساعده على الانضمام إلى هيئة التدريس في المدرسة الكتانية. وعندما

مريم جلاط

توفي الله عزوجل الشيخ المجاوي في سنة 1914م، ورثه تلميذه الشيخ ابن الموهوب حتى أطلق عليه لقب: "شيخ الجماعة"، وهو اللقب نفسه الذي أطلق قبل على الشيخ المجاوي، بالإضافة إلى محمد بن أبي شنب، ومحمود بن محمد الشاذلي القسنطيني، ومن معاصريه البارزين حمدان بن الونيسي، وصالح بن مهنا، ولابن موهوب تلاميذ أبرزهم: مالك بن نبي، ومحمود بوزوزو(الهادي الحسني، المقال، 2016)، بالإضافة إلى عبد الحميد بن باديس(ت: 1940م)، الذي حضر بعض دروسه في الجامع الكبير، ولعله تأثر بأفكاره الإصلاحية(أبو القاسم سعد الله، 2007م. (192/2)).

أما عن وفاته فقد اختلف فيها، فجريدة النجاح أوردت خبر وفاته، فجاء نصها: إن وفاته كانت يوم الخميس 29 صفر 1358هـ الموافق لـ 20 أبريل 1939م عن عمر يناهز 73 سنة، بعد مرض خفيف لم يحل دون قيامه بواجباته(حفيان رشيد. العدد: 20. ص: 367)، وأما جريدة البصائر فنقلت خبر وفاته، وجاء نصها: ليلة الجمعة غرة ربيع الأول 21 أبريل توفي مفتي قسنطينة الشيخ المولود بن الموهوب بعد أن توسط عشرة الثمانين من عمره، ودفن مساء الجمعة(الهادي الحسني، المقال، 2016).

أما مؤلفاته فقد ترك ابن الموهوب بعض الآثار منها: "مختصر الكافي في العروض والقوافي"، ونظم: شرح الكافي المسمى "التبر الصافي"، الذي شرحه إبراهيم العوامر السوفي وسماه: "مواهب الكافي على التبر الصافي"(أبو القاسم سعد الله 1998م. (192/8)).، ونظم الأجرومية، وشرح منظومة التوحيد لشيخه عبد القادر المجاوي، وله بعض الأشعار أهمها قصيدته المعنونة بالمنصفة، وهناك من يعد هذه القصيدة بداية للشعر الإصلاحي في الجزائر، وقد شرحها الشيخ المجاوي تحت عنوان "اللمع على نظم البدع"(أبو القاسم: 1998م. (7/173)).، وقام إبراهيم بن عامر(العوامر) بتشطيرها، وسماها: "مطالع السعود بتشطير أدبية الشيخ المولود"، ونشر ذلك في العدد 56 من جريدة "الفاروق" سنة 1914م. وكانت تنشر أشعار ابن الموهوب وأعماله الأدبية: في جريدتي "كوكب إفريقيا" و"المغرب"(أبو القاسم سعد الله ، 2007م. (195/2)).

كما كان يمتلك مكتبة خاصة تحوي بعض المخطوطات، من بينها نسخة رحلة الورتلاني، التي أثارت اهتمام المستشرقين(أبو القاسم سعد الله، 1998م.

ابن الموهوب (1866م - 1939م) وجهوده التربوية

(391/5) و(59/6)). ومجموع شعري مخطوط للأمير عبد القادر (أبو القاسم، 1998م. (207/8)). بالإضافة إلى محاضراته التي كانت تترجم وتُنشر في الجرائد اليومية المحلية، وكانت محل تقدير فئة النخبة الجزائرية المعاصرة، فكان ممن أشاد بأرائه ونقل خطبه وأناشيده الشريف بن حبيلس في كتابه "الجزائر كما يراها الأهلي" (ابن حبيلس، ص: 179).

3 أحوال قسنطينة أيام ابن الموهوب:

كانت قسنطينة أيام ابن الموهوب تعج بالنشاط والتوقعات، ففي سنة 1891م تحرك أعيانها تحركا جماعياً، فكتبوا عريضة تاريخية إلى السلطات الفرنسية، طالبوا فيها بأمور اقتصادية واجتماعية وثقافية، منها: احترام اللغة العربية، والقضاء الإسلامي، والعادات والتقاليد الوطنية، والتعليم الإسلامي، ومن بين الذين وقعوا على هذه العريضة: عبد الكريم باش تارزي، مفتي المذهب الحنفي، والطيب بن أوادفل، مفتي المذهب المالكي، والشريف بن باديس، قاضي مدينة قسنطينة، ومحمود بن الشاذلي، مدير المدرسة الكتانية، وعبد القادر المجاوي، المدرس بالمدرسة نفسها، وحمدان بن الويسي المدرس، وأربعة من عائلة بن الفكون (شيخ الإسلام)... الخ (أبو القاسم سعد الله، 2007م، (193/2)). وكان الشيخ المجاوي قد نشر سنة 1877م كتاباً سماه: "إرشاد المتعلمين"، دعا فيه إلى الأخذ بالعلوم العصرية واللغات الأجنبية، ومن ثمة النهضة الوطنية، وقد أحدث هذا الكتيب - على صغره - ضجة في قسنطينة، حيث استقبلته الفئة الوطنية بالترحيب، وإضافة إلى هذا تأثرت قسنطينة - بحكم الجوار - بأحداث الحركة الوطنية التونسية من إنشاء المدرستين الصادقية والخلدونية، وظهور حزب تونس الفتاة، وتيار إصلاح جامع الزيتونة، وزيارة الشيخ محمد عبده (ت: 1905) ونحو ذلك، وكان ابن الموهوب معاصراً ومتأثراً بهذه الأحداث (أبو القاسم سعد الله، 2007م. (194/2)). بل كان من أنصار دعوة الشيخ محمد عبده (أبو القاسم سعد الله، 1998م (505/4)).

عاش ابن الموهوب في عصر أطلق عليه أبو القاسم سعد الله عصر النهضة، إذ خلق الجزائريون لأول مرة صحافة وطنية، ونوادي وجمعيات إصلاحية، ونادوا بالتحريير عن

مريم جلاط

طريق التعليم، وكانت قسنطينة والجزائر ووهران مراكز النشاط الصحفي خلال هذا العهد ومن بين الجرائد التي أثرت على الرأي العام الجزائري خلال هذا العهد (1900م- 1914م) صحيفة "المغرب"، وهي أسبوعية ذات لسان عربي مع اتجاه إصلاحى إسلامي، وكان صاحبها هو السيد بيير فونتانة الفرنسي، ومن الذين كتبوا فيها الشيوخ: عبد القادر المجاوي، والمولود بن الموهوب، ومحمد بن أبي شنب، ومحمود كحول... الخ، وقد استمرت هذه الجريدة عقدا كاملا (1903م - 1913م)، ويقال: إن محمد عبده الزعيم الإسلامي والمصلح المصري، قد قال عنها بأنها رغم أخطائها كانت مفيدة للجزائريين، الذين جردوا من الصحف العربية الوطنية (أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، 1992م. (133/2، 135)).

4-الجهود التربوية لابن الموهوب: إن ما يمكننا قوله عن جهود ابن الموهوب الفكرية التربوية إنها كانت وسيلة للإصلاح، وتمثلت هذه الجهود في عدة مرتكزات يمكن حصرها في:

1-4 التعليم والتدريس والفتوى عند ابن الموهوب:

وجّه الوالي العام شارل جونار (1903م - 1913م) عناية خاصة لإحياء سنة التدريس بالمساجد ونشر التعليم الإسلامي التقليدي، وبذلك شملت حركته عددا من الشخصيات العلمية، التي كانت من قبل في الظل، ومن هؤلاء ابن الموهوب (أبو القاسم سعد الله، 2007م. (194/2)). الذي اشتغل بصفة رسمية بتدريس البلاغة والأدب، وهي المادة نفسها التي تولى تدريسها الشيخ عبد الحليم بن سماية بالجزائر العاصمة، والأدب العربي لم يكن يدرس في الجزائر إلا نادرا، على يد بعض شيوخ المدارس الشرعية - الفرنسية أمثال ابن الموهوب في قسنطينة وعبد الحليم بن سماية في العاصمة، والغوثي بن علي في تلمسان (أبو القاسم سعد الله، 1998م. (57/6). و(67/8)).

وإضافة إلى وظيفة مدرس بالمدرسة الكتانية تولى ابن الموهوب وظيفة مفتي الديار القسنطينية سنة 1908م، فكلف بتدريس مادة الفقه الإسلامي، ومادة إنشاء الوثائق الشرعية مع نخبة من العلماء كالشيخ عبد القادر المجاوي، الذي درّس النحو والصرف، والشيخ محمود بن الشاذلي، الذي درّس التوحيد (أبو القاسم سعد الله، 1998م.

ابن الموهوب (1866م -1939م) وجهوده التربوية

(390/3))، ويدخل في نطاق مهمته كمفتٍ أيضا الإشراف على المساجد في ولاية قسنطينة، ورئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية، ومن مشمولاتها أيضا السهر على الأوقاف والتدريس بالجامع الكبير، وإلقاء خطبة الجمعة والعيدين به، وبذلك كانت لوظيفة الفتوى حقوق كثيرة وواجبات أكثر، وكان متولها يسير على حد السيف بين مصالح الأهالي، وإرضاء ضميره الديني والوطني، وبين المصالح الاستعمارية، التي تتطلع إلى أن يحقق لها المفتي الأمن والاستقرار والسيطرة على أئمة المساجد، ومعلمي التعليم العربي الإسلامي، وهذه المسؤولية المزدوجة هي التي كانت في وقت لاحق السبب في اتخاذ ابن الموهوب مواقف تبدو غير منسجمة أحيانا مع ما عرف عنه من إصلاح وليبرالية، ذلك أن ابن الموهوب قد آمن بالإصلاح الإسلامي، كما جاء من المشرق على لسان الشيخ عبده، واستغل تعاطف الوالي العام مع الدراسات الإسلامية، فدعا من خلال خطبته(وهي الخطبة التي ألقاها بمناسبة توليته الفتوى بقسنطينة سنة: 1908م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، 2007م. (197/2)) إلى اليقظة الوطنية، والتقدم المادي والإصلاحي الإسلامي والتعليم، ونفي التعصب عن الإسلام، ولف كل ذلك في إطار ما يسميه المعونة الفرنسية، ولكن نداءه إلى الإصلاح واليقظة أصبح بالتدرج نداء محافظا بالنسبة إلى المرحلة الجديدة، التي دخلتها الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى، وازداد ضغط الفرنسيين على ابن الموهوب وأمثاله من الموظفين الرسميين ليقفوا ضد تيار الوطنية المتطرفة في نظرهم، وتيار الإصلاح الجديد أو الحر، الذي تزعمه عبد الحميد بن باديس، ثم جمعية العلماء، وهكذا فلم تحن سنة 1920م، حتى أصبح ابن الموهوب محافظا، بل في تناقض مع موجة الإصلاح الجديد، التي رأها تستولي على المساجد والتعليم، وتنادي بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية، وتبعد الجماهير عن الموظفين الرسميين.(أبو القاسم سعد الله، 2007م.(195/2)).

يقول أبو القاسم سعد الله: وإذا كان هناك ظلال في حياة الشيخ ابن الموهوب فالظاهر أن مصدرها عاملان:

-كونه موظفا رسميا فكان مقيد الفكر، مقصوص الجناح، بينما كان مصلحو ما بعد الحرب العالمية الأولى طلقاء.

مريم جلاط

-كونه من خارج مدينة قسنطينة أصلا، بينما كانت عائلات قسنطينة القديمة، ولا سيما عائلة ابن باديس، تعتبر نفسها أحق بمنصب الفتوى من أحد العلماء الوافدين، والمعروف أن وظيفة الفتوى كانت في عائلة ابن الفكون طيلة العهد العثماني، وقد ضرب الفرنسيون على هذا الوتر عند إسنادهم الوظائف الدينية كالقضاء والافتاء، فكانوا يوزعون رجال السلك الديني على مناطق بعيدة عن أصولهم الترابية والاجتماعية (أبو القاسم سعد الله، 2007م. (196/2)). وكانوا يميلون إلى إدخال العناصر الجديدة على القديمة، برفع المنخفضين أحيانا وتقريب المبعدين أحيانا أخرى، ونقل علماء الغرب إلى الشرق تارة ثالثة، وكان ابن الموهوب جزءا من هذه الظاهرة (أبو القاسم سعد الله، 1998م، (131/3)).

لكن لم يكن تولي الشيخ ابن الموهوب للتدريس في المدرسة الفرنسية موالاة للمستعمر كما يتهمه به البعض، وإن كان قد تخرج منها، فهو مثله مثل محمد بن أبي شنب ومشاهير علماء الإصلاح على غرار عبد الحليم بن سماية، والشيخ محمد السعيد بن زكري، والشيخ عبد القادر المجاوي، الذي كان قدوته، فبالرغم من تخرج الشيخ المجاوي من القرويين إلا أنه قبل بالوظيفة الرسمية (كمال لدرع، مقال، 2015م. ص: 170)، فهؤلاء المصلحون كانت هذه المدارس تمثل لهم بصيص أمل لممارسة أعمالهم الإصلاحية والتربوية، لذلك تعاملوا مع فرنسا دون عنف. ولهذا نصح ابن الموهوب الجزائريين بالتضامن والتسامح مستشهدا بمقولة شكسبير: (إنك قد تحصل بابتسامة على ما كنت تنوي الحصول عليه بالقوة) (أبو القاسم سعد الله، 1992م. (153/2)).

4-2 النوادي والجمعيات في حياة ابن الموهوب:

كما أن هناك مراكزا لعبت دورا هاما خلال هذه الفترة منها نادي صالح باي في قسنطينة، والجمعية الرشيدية في العاصمة، فقد أسس نادي صالح باي بعض المثقفين الجزائريين، وأيده الفرنسيون العاطفون على الجزائريين، وكان هذا النادي في سنة 1908م يضم ألفا وسبعمائة عضو، وكانت أهداف النادي تتمثل في نشر التعليم، والمساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية، وعقد المحاضرات العلمية والأدبية، وخلق جمعيات خيرية؛ مع الحفاظ على مبادئ الإسلام (أبو القاسم، 1992م. (138/2، 139)).

ابن الموهوب (1866م -1939م) وجهوده التربوية

وبهذا يكون هذا النادي قد ساهم مساهمة فعّالة في يقظة الجزائر خلال هذه الفترة، إذ حاول زعماءها أن يطوروا من المجتمع الجزائري، وأن يجعلوا منه مجتمعا حديثا ومتنورا (أبو القاسم سعد الله، 2007م. (2/140))، وكان من بين أعضائه البارزين ابن الموهوب، فبالإضافة إلى التدريس والفتوى تولى رئاسة الجمعية الخيرية بقسنطينة، وكان محاضرا في نادي صالح باي، وكانت محاضراته تترجم وتنتشر في الجرائد اليومية المحلية، وكانت محل تقدير فئة النخبة الجزائرية المعاصرة. (أبو القاسم سعد الله، 2007م. (2/195))، فظهرت الخطبة الإصلاحية على يده. إذ فتح نادي صالح باي في قسنطينة مجالا لابن الموهوب لبثّ هذا النوع من الخطب، التي تسمى أحيانا (محاضرات) بلهجة الصحف عندئذ. ومن أشهر ذلك خطبة قبوله وظيفة الفتوى سنة 1908م، وقد حثّ فيها على التعلم، واغتنام فرصة فتح المدارس الفرنسية (أبو القاسم سعد الله، 1998م (8/107)).

- وبوجود المدارس والجمعيات والنوادي والصحافة في هذه الفترة ظهرت مجموعتان كبيرتان شاركتا في نهضة الجزائر هما: كتلة المحافظين وجماعة النخبة، وكانت مصالحيهما متضاربة، لكن تحرر الجزائر كان هدفا واحدا. وكتلة المحافظين تعني: كل الطبقات الجزائرية التي قبلت المحافظة؛ التي معناها بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية والتجنيس والتجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، وكانت في مستويات منها الثقافي، والتي تعني المحافظة على النظم الإسلامية والتعليم العربي، وكانت هذه الكتلة تتكون من المثقفين التقليديين أو العلماء، ومن زعماء الدين، ومعلمين ومصالحين وصحفيين... الخ، وكان لهم برنامج يشمل نقاط عدة، ومن بين الأسماء التي ضمّتها هذه الكتلة: عبد القادر المجاوي، وسعيد بن زكري، وعبد الحليم بن سماية، وحمدان بن الونيسي، والمولود بن الموهوب، الذي احتل مكانا بارزا في هذه الطبقة، وتقلد دورا هاما في شؤون الكتلة، إذ كان متحدثها غير الرسمي، وكان إلى جانب شيخه المجاوي وزميله ابن سماية يمثلون القسم الثاني في هذه الكتلة، ونعني به القسم الذي قبل أعضاؤه بعض الإصلاحات المتطرفة، ولكن دون تناقض مع الواقع الجزائري، فكان شعارهم:

مريم جلاط

الإصلاح بكل الوسائل، لأن المجتمع الجزائري كان في أحط الدرجات من التدهور.(أبو القاسم سعد الله، 1992م. (148، 146، 145/2)).

-إن البرنامج التربوي الإصلاحى الذى كان ينادى به ابن الموهوب ركز على أسس هي: الدين الإسلامى والتعليم والتدريس، ومحاربة الجهل والكسل. وكان شعاره: إنَّ الجزائر قد وصلت إلى أسفل نقطة في سلم التدهور، ولكي تتخلى عن هذه الحالة يجب عليها أن تؤمن بالتقدم والتعليم بكل الوسائل والتسامح والعودة إلى منابع الإسلام الصافية، ولهذا السبب أعلن الحرب على الجهل والإجحاف، والكسل لكي تحرر الجزائر من حالتها المنحطة، وقد علمه التاريخ أن تحرر أي شعب يتوقف على يقظته العقلية، فهو يرى أن كل الآفات التي كانت متسلطة على الجزائر (مثل قانون الأهالي والمحاكم الرادعة) لا تنتهي إلا بخلق المدارس.(أبو القاسم سعد الله، 1992م. (151/2))، ولهذا اقترح العلاج لما كان يسميه بانحطاط الجزائر أن على فرنسا أن تستمر وتضاعف من عملها الحضاري في الجزائر، وهذا البرنامج يجب أن يتحقق عن طريق تعليم تقديمي باللغتين العربية والفرنسية، وعلى هذا البرنامج أن يضع أمامه تحقيق مبدأ المساواة التامة بين الجزائريين، كما أصر على الجزائريين أن يتخلصوا من الكسل وعدم التسامح وأن يكرسوا أنفسهم لدراسة العلوم المتقدمة، وظهر هذا جليا في محاضراته وخطبه وأشعاره(أبو القاسم سعد الله، 1992م، (152/2)). وعنون الشريف بن حبيلس فصلا في كتابه "الجزائر كما يراها أحد الأهالي" ب"الحرب ضد الجهل" وأورد فيها مجموعة من المحاضرات والخطب للمولود بن الموهوب. ينظر الكتاب: ص: 177).

ففي محاضرة ألقاها عام 1909م بنادي صالح باي أوضح ابن الموهوب الأسباب الحقيقية لما كان يسميه بانحطاط الجزائر(ابن حبيلس. ص: 209)، فهو يقول إنها تشمل المستوى المنخفض للأحوال المادية والعقلية، وإهمال العناية بالأداب ودراسة الإسلام وتاريخه، والفقر والجهل وبطريقة بسيطة جدا مستعملا فيها الإشارات غير المباشرة.(أبو القاسم سعد الله، 1992م. (151/2)).

ابن الموهوب (1866م - 1939م) وجهوده التربوية

- كما ألقى في السنة نفسها خطبة بالعربية في افتتاح مدرسة الجزائرية الفرنسية بقسنطينة عنوانها: "الجزائريون والحضارة" (ابن حبيلس. ص: 179)، تحدث فيها عن كل النقط العريضة على المصلحين المحافظين وجماعة النخبة على حدّ السواء.

وكانت خطبته التي ألقاها بقسنطينة سنة 1908م بمناسبة توليه الفتوى ملخصة لأفكاره وجهوده الإصلاحية والتربوية، وهذه الخطبة أورد نصها كاملا أبو القاسم سعد الله في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (192/2)، ومما جاء فيها دعوته إلى التمسك بالإسلام، فقال: (الجهل بالإسلام هو الذي أبعدنا عن الإسلام، والجهل بالإسلام هو الذي أفتى بالتأخر والرضى بالضرر العام، والجهل بالإسلام هو الذي ألقى في قلوب الناس أن كلّ ما خالف العادة المذمومة شرعا فهو حرام، الجهل بالإسلام هو الذي زرع التحاسد والتباغض والتنافر والكبر بين أبناء الإسلام... الخ). ومما جاء فيها أيضا دعوته إلى محاربة الجهل والإقبال على التعلم فقال: (سادتي إذا كان الجهل طعاما فقد أكلناه، وإذا كان ماء فقد شربناه، وإذا كان ثوبا فقد لبسناه، عشقناه وعظمناه فحرمننا مما نتمناه... الخ). كما دعا إلى اللحاق بركب التطور والعمل وترك الكسل فقال: (لا تقتلوا أنفسكم بالقنوط والكسل، فإن الحياة الطيبة علم وعمل... فضعوا اليد في اليد متعاهدين متحالفين على محاربة الجهل والبدع اللذين كانا سببا في التأخر الحال بالمسلمين... الخ). (أبو القاسم سعد الله، 2007م، (192/2، 197).

كان دور ابن الموهوب ذا وجهين، وجه وطني ووجه إصلاحي إسلامي، فمبادئه للجزائريين باليقظة والتعلم والوحدة والتنافس مع الأمم الأخرى كانت مساهمة هامة منه في الحركة الوطنية. كما كان مصلحا بارزا في الجامعة الإسلامية، ولما كان مؤمنا بها، فإنه دعا مستمعيه الجزائريين إلى التعاطف، والتفاهم والعمل من أجل الإسلام الحقيقي، الذي يحتوي على أشياء جميلة أخلاقية عظيمة، وقد أخبرهم بأن الحضارة لم تكن هي الزنا، والكحول والأفعال الرديئة، ولكنها برنامج للعناية الصحية والعمل والعلوم والتسامح والتضامن والتقدم، ولكن على الجزائريين أن يتفهموا القرآن الكريم والحديث الشريف، اللذين قادا أجدادهم إلى المجد، وعلمهم أن يتبعوا طريق أجدادهم (أبو القاسم سعد الله، 1992م، (154/2 - 156)). وأكد تلميذه مالك بن نبي

مریم جلاط

عن مسعى إصلاح شيخه، الذي كان كثيرا ما يحث على اقتفاء أثر السنة، وذكر: (كان الشيخ المولود بن الموهوب يدرّب فكرنا وروحنا إذّا على اقتفاء السنة، وكل ما يردنا من عناصر شرقية جديدة، يعزز هذه السنة في فكرنا بعض التعزيز) (حفيان رشيد. ص: 384).

3-4 الشعر والأدب عند ابن الموهوب: لم يكتف ابن الموهوب بالخطب الإصلاحية التربوية لإيقاظ المجتمع من الخمول والجهل، إذ لجأ أيضا إلى الشعر، لعله يأتي بثمار لم تأت بها الخطب، أو ربما الشعر يلامس الأحاسيس والمشاعر ويوقد الحماس، فنظم الشعر في إصلاح المجتمع، ونظم الأناشيد للتلاميذ ليتغنوا بها. وتعدّ قصيدته: (المنصفة) بداية للشعر الإصلاحية، وشاهدة على فكره التربوي، وكان هدفها تعليمياً. وقد صاغها على قالب قصيدة عمرو بن كلثوم. وهي في نحو خمسين بيتا. دعا فيها إلى التمسك بالأخلاق ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، والنهي عن الفساد وتطهير المجتمع من الخرافات والبدع، ولم يهاجم فيها الإدارة، ولم يتدخل في السياسة. بل كان لسان حاله هو شكر الإدارة على فتح مجال التعليم. ومطلع هذه القصيدة:

صعود الأسفلين به دهينا	لأنا للمعارف ما هدينا
رمت أمواج بحر اللهو منا	أناسا للخمور ملازمينا
أضاعوا عرضهم والمال حبّا	لبنت الحان فازدادوا جنونا
ألا يا دهر يكفي ما بلينا	به من نشرذي الأمراض فينا
أليس اليسريأتي بعد عسر	فهل كان الشقاء لنا قرينا
يناديننا الكتاب لكل خير	فهل كنا لذلك سامعينا

(أبو القاسم سعد الله، 1998م. (259/8، و260).

طبعت هذه المنظومة سنة 1912م بمطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر، وسماها شيخه المجاوي بـ"المنصفة"، وتقع في 198 صفحة، وقرضه تلميذه "محمود كحول" وأحمد بن الشيخ" باش عدل بمحكمة سيدي عقبة، وشرها إبراهيم بن عامر (العوامر) السوفي، ونشر التشطير في جريدة "الفاروق" وسماه: "مطالع السعود في تشطير أدبية الشيخ مولود"، ومن ذلك يظهر أن ابن الموهوب هو الذي انطلق في دعوته الإصلاحية بصوت

ابن الموهوب (1866م - 1939م) وجهوده التربوية

قوي منذ مطلع القرن العشرين، ووجد من يدعمه في دعوته سواء في العاصمة أو حتى في الواحات البعيدة مثل وادي سوف (أبو القاسم سعد الله، 1998م، (173/7). وإقبال الشيخ المجاوي على شرحها هو اعتراف منه على الفكر السليم لابن الموهوب وشهادة على صدق الرجل، لأن إقدام الشيخ على شرح منظومة تلميذه هي سابقة في تاريخ الأدب العربي؛ والمتعارف عليه هو أن الطالب هو من يشرح أعمال وكتابات أستاذه وليس العكس: وهو ما دفع الشيخ حمزة بوكوشة إلى القول: (وهو في شرحه هذا النظم الذي نظمه تلميذه الشيخ المولود بن الموهوب يخالف ما تعارف عليه الناس في عصر المتون والشروح، من أن التلميذ هو الذي يشرح كلام شيخه، وهذا إن دلنا على شيء فهو يدلنا على تواضع المجاوي)، والكتاب امتداد للمنهج الإصلاحي المعتمد في أول ما صدر له رسالته "إرشاد المتعلمين"، وشرح المجاوي لهذه المنظومة اتخذها وسيلة لمقاومة البدع والضلالات والأباطيل والخرافات التي كانت سائدة في تلك الحقبة، ويعتقد بها بعض الناس أنها من الدين، وفيه دعا الشيخ مبكرا إلى وجوب دراسة علم الأخلاق وعلم النفس والنظريات المعرفية، لأنها مفيدة في إعداد البرامج التعليمية الناجحة.)) (خير الدين شترة. ص: 79)

أما الأناشيد المدرسية فهي عادة ما توضع للتربية الأخلاقية والدينية والوطنية. واشتهرت بها مدارس جمعية العلماء بين الحربين كجزء من حملتها في توعية الشعب لافتكاك استقلاله واسترداد هويته. وكانت الأناشيد تنشد بأصوات جماعية وألحان، وأحيانا تنشد بالموسيقى أثناء مسيرة. ونذكر أن هذا النوع من الأناشيد نجده عند تلاميذ ابن الموهوب (أبو القاسم سعد الله، 1998م. (302/8)). إذ نظم قصيدة لطلابه في نادي صالح باي سنة 1911م، وهي تبين مدى تأثيره بين الجزائريين (أبو القاسم سعد الله، 1992م. (154/2))، وهذه القصيدة ترنم بها تلامذة نادي صالح باي بمناسبة توزيع الجوائز، وعرف بها جوق موسيقى السيدين: محمد بن كرات وبسطانجي، ومطلعها:

العلم يحيا بالعمل	وقاتل المرء الكسل
فسافروا نحو الأمل	وحاربوا كل بليد
يا أيها الأبناء الصغار	أنتم لنا نعم الثمار

مريم جلاط

جدوا لتدركوا الفخار
فعاشق العلم سعيد
فعمروا المدارس
وجانوا الأبالسا
وزينوا المجالسا
بالعلم واطلبوا المزيد

(ابن حبيلس. ص: 222).

5 المنهج الفكري التربوي لابن الموهوب: من خلال عرضنا للجهود الفكرية لابن الموهوب يمكننا أن نلخص منهجه الفكري التربوي في:

-التربية والتعليم: اتبع المولود بن الموهوب نهج شيخه عبد القادر المجاوي التربوي والإصلاحي، فكان معلما ومربيا ومدرسا وفقهيا وخطيبا وأديبا ومفتيا وصاحب مشروع إصلاحي، وكان مدركا لما يحصل في مجتمعه وأرض وطنه المسلموبة، لذلك جعل من نهج التربية والتعليم أول خطوة لتطبيق فكره التربوي الإصلاحي، فساعده على ذلك توليه التدريس في المدرسة الكتانية والجامع الكبير، فحث على التعلم ونبذ الجهل واغتنام فرصة فتح المدارس الفرنسية، ورأى من الضروري أن يتعلم الأهالي نفس التعليم الذي يتلقاه الفرنسيون، واهتم باللغة العربية فدعا إلى ضرورة الموازنة في التعليم بين اللغتين العربية والفرنسية (ابن حبيلس. ص: 219) ، وحبه للغة العربية ظهر في مؤلفاته التي ألفها في المادة التي يدرسها، بغية تسهيل الدروس لتلاميذه، فألف في العروض كتاب "مختصر الكافي في العروض والقوافي"، ونظم: شرح الكافي المسمى "التبر الصافي"، وفي النحو العربي نظم الأجرومية، كما ظهر حبه للغة من خلال أشعاره وخطبة ومحاضراته التي كان يلقيها باللغة العربية بالرغم من إتقانه للغة الفرنسية. كما ساعده توليه رئاسة الجمعية الخيرية، ونادي صالح باي في نشر أفكاره فظهر ذلك جليا في خطبه وأشعاره، وكان يشعل الحماس في المدرسين وذلك بتذكيرهم بنبل وظيفتهم حينما وأنه فخور بانتمائه إليهم وأنه صادق فيما ينجزه حينما آخر، قال في إحدى خطبه: (لا أدعي لنفسي شرف إنجاز عمل هو عملكم سادتي أكثر مما هو ينسب إلي ما يملأ نفسي شعوران شرف الانتماء إلى ثلثكم والرغبة في المواصلة، ما أفعله هو فقط الإشارة إلى بعض النجاح الذي حققناه، فأنا واثق من أنه من دواعي سرور المدرسين نجاح مهامهم التدريسية وشيوع النور الذي يحملونه، وتبدد ظلام الجهل والتعصب من سماء المجتمع

ابن الموهوب (1866م - 1939م) وجهوده التربوية

الإسلامي). وإيمانه الصادق بما يفعله جعله لا يلتفت إلى الوراء، بل واصل الطريق رغم ما لاقاه من انتقاد، قال: (على امتداد مسيرتي دعوت للخير، وعرضت أفكارى بكل حرية منتقدا خصومي، هجرني الكثير وخاني البعض، إلا أنني مؤخرا حظيت بجمهور جديد، ودخلت قلوبا لا عهد لي بها، وصار لي أتباع حتى من أولئك الذين كنت يائسا منهم) (ابن حبيلس. ص: 206). وهذا ما جعله محل إشادة من الكثيرين، نعته بن حبيلس في مؤلفه بـ"الأستاذ محمد المولود بن الموهوب أستاذ الفقه الإسلامي في المدرسة، والمفتي المالكي لمدينة قسنطينة حامل وسام الشرف" (ابن حبيلس. ص: 177)، كما وصفه الإمام ابن باديس بـ"العلامة المتفنن الأملعي المفكر الشيخ المولود بن الموهوب، المفتي المالكي بقسنطينة"، وكان هذا سنة 1341هـ/1922م (عمار طالبي. المجلد 2، ص: 173).

-التمسك بالدين ونبذ البدع والتعصب: وهو أساس آخر في منهجه التربوي الإصلاحى، إذ شدد على ضرورة التمسك بالدين الإسلامى الحنيف، ونبذ الخرافات والبدع التى ألصقها الجاهلون بالدين، والتى تخدم مصالح العدو، وابن الموهوب كان متأثرا بالفكر المشرقى أمثال محمد عبده، الذين يرون أن أسباب التدهور هو الابتعاد عن الدين الإسلامى. فظهر هذا الفكر جليا فى دروسه المسجدية وفى خطبه ومحاضراته التى ألقاها فى النوادي والجمعيات، وله محاضرة سماها: أسباب الانحطاط وتعاليم القرآن، ومما جاء فيها: (...الجهل والتعصب وحدهما جعلتا الإنسان عدوا لأخيه الإنسان... إن قراءة بسيطة فى تعاليم القرآن ومعانيه فيما يأمرنا به، وما ينهانا عنه ثم نظرة سطحية صوب الحال المزرىة للجزائريين تعصمهم كسلهم تراخيمهم توكلهم يجعلنا نقسم بأنهم المسؤولون عما لحق بهم... لا. سبب انحطاط الأهالي ليس قرآنهم لأنه لو كان سببا للانحطاط لما سمح لأوائل المسلمين ببناء الحضارة الزاهرة التى نعرفها، الفرق كل الفرق هو أن أولئك تجشموا عناء الفهم الصحيح... الخ). كما حدد فى هذه المحاضرة أسباب الانحطاط فى سبعة أمور: الأولى: غياب الحكمة والقدرة على التمييز والعجز عن معالجة أموره، الثانية: الزيجات الحقيرة المتخلفة القهرية، الثالثة: ممارسة الزنا والانحرافات الجنسية، الرابعة: الكسل والخمول والسلبية، الخامسة شرب الكحول والإدمان، السادسة: تعدد الزوجات الذى أدى إلى ابتعاد الزوج عن روح العدالة

مریم جلاط

والمساواة، السابعة: وصول الجبهة الأميين إلى مناصب مرموقة في الدولة(ابن حبيلس.ص: 213، ص: 215، ص: 217).

-الدعوة إلى التحرر والإصلاح: كان ابن الموهوب مثل شيخه المجاوي مدركا لأسباب رقي ونهضة الأمم، فأثرت أفكاره التحررية الداعية إلى النهضة في الجيل الذي بعده، فكانت ثمرة جهوده ظهور أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين تلميذه "مالك بن نبي". الذي أكد أن ابن الموهوب كان يغذي فكرهم بالرجوع إلى القرآن والسنة؛ لأنه السبيل للتطور، قال في أحد خطبه: (...أي عذرلنا وقد تسرب الخمول إلى عقولنا؟ أي مبرر إزاءنا والكسل يمنعنا حتى من الاستفادة من المبتكرات العصرية؟أيها الإخوة هل ستختارون الجهل الذي يبعدكم عن كل شيء؟ ماذا ستقولون دفاعا عن أنفسكم؟لقد خالفتم قرآنكم ورسولكم وابتعدتم عن تقاليدكم ونأيتم عن علوم زمانكم، كفوا عن هذه الخطايا...الخ) (ابن حبيلس. ص: 189). استمرت أفكار ابن الموهوب في الانتشار في المجتمع الجزائري، وفي النمو مع الوقت، فخلال أقل من عقد أصبح مذهبه في الإصلاح مطبقا ومقوَّى من حركة إصلاحية جديدة(أبو القاسم سعد الله، 1992م. (157/2)).

ومن هنا كانت رسالة ابن الموهوب الإصلاحية محاولة لانتشار الجزائريين من هذا الظلام، ورغم انعدام الوثائق فإن الأبحاث الأولى تظهر أن ابن الموهوب كان الموضوع أو المقدمة لحركة ابن باديس الإصلاحية التربوية، وتزداد الصورة وضوحا عندما نعرف أن الشيخين كانا من مدينة واحدة قسنطينة، كما أن الوقت الذي كان فيه ابن الموهوب يبشر بمذهبه الإصلاحي كان ابن باديس ما يزال طالبا في فترة المراهقة، ومن هنا يمكن القول: إن ابن باديس حضر محاضرات ابن الموهوب، وتأثر بأفكاره (حفيان رشيد. ص: 384).

-النشاط الصحفي: لجأ ابن الموهوب إلى وسائل التواصل الحديثة للتأثير على المجتمع، لذلك جعل من الصحافة أداة لنشر الوعي واليقظة، ونظرا لتأثيره كانت محاضراته تترجم وتنشر في الجرائد اليومية المحلية، وكانت محل تقدير فئة النخبة، وتعد جريدتنا "المغرب"، و"كوكب إفريقيا" شاهدة على فكره التربوي الإصلاحي، من خلال نقل أشعاره وأعماله الأدبية.

ابن الموهوب (1866م -1939م) وجهوده التربوية

-النشاط السياسي والاجتماعي: مارس ابن الموهوب النشاط السياسي من خلال توليه رئاسة الجمعية الخيرية بقسنطينة ونادي صالح باي، فاستغل هذه المناصب واعتلاء المنابر لبث فكره التربوي الإصلاحي، أما النشاط الاجتماعي فتمحور حول الحث على النشاط، وضرورة العمل لتحسين الوضعية المعيشية، وخطبه خير دليل على ذلك، قال في إحداها: (أيها المسلمون ألا تذكرون محبة أسلافكم للزراعة؟ خلفاؤكم فضلوها وأثرهاؤكم مارسوها وشعراؤكم تغنوا بها، والله حيانا بعقول لا تقل عن عقول الآخرين وأنعم علينا بذوق من النعم، فلم يبق لنا سوى مباشرة العمل وترك الخمول، بالعمل وحده نضمن كرامتنا، العمل يغير كل شيء، والتراب لا قيمة له إلا متى عملنا عليه) (ابن حبيلس. ص: 219).

خاتمة:

وختاما يمكننا القول: إن ابن الموهوب من خلال جهوده الفكرية التربوية قدم منهجا تربويا يقوم على أسس حديثة مواكبة للعصر والمجتمع، فكان فكره مقتصرًا على وطنه، وجعل من فكره وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي من خلال حثه للجزائريين على التعلم ونبذ الجهل، والتمسك بالدين ونبذ البدع والخرافات والتعصب، وتعلم اللغات للاستفادة من الغربيين فيما وصلوا إليه من حضارة وعلوم حديثة. وابن الموهوب واحد من علماء الفكر التربوي في الجزائر، وقد أسهمت أفكاره ودروسه في إخراج جيلٍ وقف في وجه المستعمر، فأعطوا إشارة الانطلاق لتحرر الجزائر، وهذه الجهود والأفكار جعلته يتقدم على أبناء عصره، فأطلق عليه لقب "شيخ الجماعة"، وهو لقب شيخه المجاوي إكراما له على مواصلة درب شيخه.

قائمة المراجع:

- ابن حبيلس، شريف.(ب،ت). الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهلالي، ترجمة الأساتذة: عبد الله حمادي، وفيصل الأحمر، وسيلة بوسيس المسك، هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين بمناسبة الذكر الخمسين لعيد الاستقلال.
- الحسن بن محمد الهادي(2016)، المولود بن الموهوب ، الشروق أونلاين، العدد 07/28/.

مریم جلاط

- حفيان، رشيد (2019)، الحركة الإصلاحية في الجزائر بدايات القرن 20م. "المولود بن الموهوب" أنموذجا ، جامعة قسنطينة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية. العدد: 20، (390-364).
- الزركلي، خير الدين.(2002).الأعلام. (ط: 15)،بيروت، دار العلم للملايين.
- سعد الله، أبو القاسم. (2007). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار البصائر، الجزائر.
- سعد الله، أبو القاسم.(1998). تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية. (ط: 1)، الجزائر ، دار البصائر للنشر والتوزيع - ، مصورة بنفس ترقيم صفحاتها عن دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله، أبو القاسم.(1992).الحركة الوطنية الجزائرية 1900 م -1930م. (ط: 4)، بيروت، لبنان ، دار الغرب الإسلامي.
- شترة خير الدين. (2015)، المنهج التربوي والإصلاحي في فكر الشيخ عبد القادر المجاوي، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد:10.(59-89).
- طالبي، عمار.(1997). آثار ابن باديس. (ط: 03)، الجزائر، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود.
- نويهض، عادل. (1980). مُعْجَمُ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حَتَّى العَصْر الحَاضِر، (ط: 02)،بيروت، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
- لدرع كمال. (2015م)، ملخص عن كتاب "المفتي القسنطيني والمصلح الاجتماعي الشيخ المولود بن الموهوب"، جامعة قسنطينة، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد 13، (165-184).